على دمي فتوكئي

شعر : صالح هواري

(فازت بالجائزة الاولى في المسابقة التي اقامها اتحاد الكتاب العرب بدمشق (مجلة الموقف الادبي) لعام ١٩٧٨) .

●

بيني وبينك مثلما بين الندى والورد ،
شدّي فوق اسراري عيونك واشربيني
ان ثوب العصر لا يقوى
على كتم الهواء ... وصدّ غزو البرد
ينشف ريق اولادي
وأطلب لا أرى أحدا
تحلّق من دمشق سحابة
وتدور حول جبيني الممتد
غطيني بحبك .. نحن زنبقتان في سجن المنافي
لحمك الداني انا ... والعشق انت وسرّه
نامي على جرحي ... فهل يحنو على عود
كواه البرد الا قشره ؟!
ما بين خصرك والدماء تسللوا ...
هذا اوانك فانضحي
عشتار تشعل في قميصك ريحها ...
والنسغ يبدأ في قطار الشمس رحلته ،
يشبّ البرق في وجع السنابل
نار حزنك في ثياب الريح خضّيها ...
غصونك آذنت بولادة أخرى
ستحنيك الرياح ...
توقعي ضرب الحجارة لا تخافي
ان هذا القصف
ناقوس البداية والتناسل
من دمي أسقيك ... ليس معي سواك ...
يغوص في المنفى شراعك
تشعل المرساة شهوتها فتنقطع السلاسل ...
تصرخين وتصرخين ... وتصرخين
تكاثروا حولي ... رفعت يدي
فتحت قواربي للمنقذين ...
ملأت وجهكِ بالبشارة ...
غير اني كلما غاصوا اقول :
دقيقتان ... وتنهضين
دقيقتان ... وتنهضين
تآكل الزمن الحرون ... شبعتِ من عزق ...
فهل شقّت عصاهم من قميص الموج زرا ؟!
تصعدين على سلالمهم يغور شراع صوتك من جديد
تغرقين وتغرقين وتغرقين

هي السلالم أم يداك ؟!
هي المراكب أم خطاك ؟!
هي المرايا أم رؤاك ؟!
نواصل المشوار ... يرتدون
نحتكم الرصاص يعيد للعصفور عشّ غنائه
يتسلقون طموحنا العاري وينشقّون عنا
... وحدنا للشمس نمضي
نطلب الوطن المصفّى في قناديل الدماء
ولا نساوم
ننحني للسلم عشاقا ... ولكنا
اذا اقتحموا الصباح نضيء من دمنا الصباح
ولا نسالم
لا نخضّ على سواقي مصر اثواب الجناة ،
ولا نبيع الورد تحت نوافذ المحتل
لا نرتد عن نهر العروبة ..
لا نبرىء لحمنا من مصر ...
مصر الشعب منّا
انه الزمن الكسيح ... على دمي فتوكئي
شمتوا كثيرا اذ رأوك على دمي تتوكئين
قالوا : عجوز قد حنتها الريح
ما عادت لغزل الموت تنفع
سيفها ما عاد يقطع
حزنها ما عاد يسطع
مثلما يحلو لهم فليرسموك ...
رايتهم عند المساء يحملون خيولهم
بالماء والصدقات ... يندفعون نحوك ...
آه من فرح المزايد حين يكسر سيف صاحبه
يقدم سيفه بدلا

بشرط واحـــد :
ألا يغـادر غمده
ما دام يسكن عنده
مدي ابتسامتك الحنونة فوق حزني
يرفعون الآن لحمك في المزاد ...
على دمي فتوكئي
بعد القتال نقيم أمسية فلسطينية
ونردد الاشعار تحت بيارق الامطار ...
وليتحلقوا حول المرايا
فراشات لشم الضوء والتهويم
هذا الليل ... من سيقدم الشهداء ؟
ما كتبوه قبل رحيلهم
يغني عن التقديم
.... باب الشمس مفتوح بوجه الريح ...
أبرقت السماء لنا : فتحت لكم دمي
مرّ السحاب على مواقعنا
أطلت من دخان القصف
اشجار على أغصانها
كتبت عيون اللدّ بالسيف :
لا للصلح والتسليم
فتشنا هويتها ... فلسطينية كانت
وأعلنا على الفور انضمام ثمارها
لفصائل التنظيم
تحت سقف خيالهم قسموك مرحلتين :
مرحلة بها زفّوك فوق حصان شهوتهم
عروسا لا مثيل لها
ومرحلة بها رفعوك فوق الهودج الدموي
قاتلة وأنت قتيلة
تتشابك الرؤيا على باب المغاره
ايها الوطن المرايا !!!
مـــن رياحك خائف
وعلى رياحك خائف
عيناك تلتمعان ... تنطفئان ...
هل هما نجمتان مـــن الحجاره ؟!
أم بنفسجتان من قبل معـاره ؟!
مضربة عن العطر الملوث
انه العصر الذي تصطكّ فيه الارض
عاريا كان البكاء وكنت تختلجين فوق اكفّهم
لا النعش يقوى أن يواصل موته نحو القبور ؛
ولا يد الجاني لتقدر أن تكفّ عن الظهور
وتحفرين الليل بالصرخات ينتحر الصدى ...
انتفضي كما انتفضت نسورك
تحت شمس « التل »
تحرق كـل حل قادم للحل
حين جرحت تحت النار قالوا :
لم تعد تقوى على الانجاب
في عزّ الظهيرة أسرجوا أوهامهم
نصبوا سلالمهم على الابواب
(كل المصائب قد تمرّ عـلى الفتى
فتهون غير شماتة «الاصحاب»)
حين راوك تستندين فوق دمي
أعادوا رسم صوتك من جديد
حاصروك من الوراء
جرى على يدك الامام وما استدرت
شربت حزنك في الجنوب ،
تدافعوا كي يشربوني
عند بدء القصف لا أخفي عليك حبيبتي
ما بين نارين انحصرت :
رصاصة حمراء عوّدني عليها الموت
لم أغلق لها يوما اهابي
لم تخفني تحت ثوب الليل غير رصاصة حمقاء
تخرج من ثيابي
غير اني لم أمت
فحصوا دمي ... رفعت من الشريان قامتها العروبة
ارفعي عينيك فوق الشمس اكثر
عابق بالرفض صدرك ...
يضغطون على وريدك كي تجفّي
غير انك تطلعين من الدماء حمامة خضراء
هزّي نخلة الشهداء
تساقط طيورا في قباب « الشيخ » (١)
أمطارا على سفح الخليل
وبرتقالا لا يبيع دماءه
مدّي جبينك ... لم يعد للصيف الا دورتان
وينضج الحزن الفلسطيني نهر سنابل
في كل سنبلة
تحدق الف قنبلة
يفور دم الشام بها
فتنفجر الزهور على شبابيك الجليل .

فلسطين

---

(١) جبل الشيخ .